المحاضرة الأولى:

**ضرورة الانتقال من المشافهة إلى الكتابة**

1. **محددات الشفاهية والكتابية:**

بدأت العلاقة بين الشفاهية والكتابية تتحدد بشكل بارز بعد ظهور الكتابة، فقد نشأت اللّغة في فلك شفاهي سابق لعهد الكتابة، وحسب فرديناند دي سوسور Ferdinand de saussure فالكتابة saussure tلكتابية تتحدد بشكل بارز بعد ظهور الكتابة، فقد نشأت اللّغة في فلك شفاهي سابق لعهد الكتابة، وحسب فرديناند د فالكتابة "فعل تال للشفاهي، فهما فعلان مترابطان ومتلازمان فالكتابة لا يمكن أن تستغني عن الشفاهية، فالتعبير الشفاهي يمكن أن يوجد، بل وجد في معظم الأحيان دون أي كتابة على الإطلاق، أمّا الكتابة فلم توجد قط دون شفاهية"[[1]](#footnote-1) ، وبانتقال الأدب الشفاهي وتحوّله إلى أدب مكتوب نجده يفقد العديد من سيماته الجمالية، كالعناصر الخارج نصيّة والتي لا يمكن أن تتجسّد كتابة، فهي تلعب دورا لا يستهان به في عملية الإفهام وتذوّق النّص الأدبي؛ كنبرة الصوت ومختلف الإيماءات المصاحبة للأداء،

بينما نجد النّص المكتوب شيئا قائما بذاته مستقلا عن المؤلف، يتميّز بالقدرة على التأني، إذ يتمكن الكاتب من تعديل محتواه أو إزاحته ومسحه، أمّا الأداء الشفاهي فهو وليد اللّحظة والإرتجال، إذ لا يمنح فرصة للتروي والتنقيح، ما يؤدي بالضرورة إلى ظاهرة التكرار التي من شأنها أن تُبقي المتلقي متتبعاً للأداء دون شرود أو انقطاع.

إنّ الاقرار بظهور الكتابة ليس محاولة لمحو الشفاهي باعتباره سريع الزوال نظرا لارتباطه بالزّمن والذّاكرة الإنسانية المتميّزة في نظر البعض وبسرعة النسيان، بل هي محاولة لإعطائه سندا ودعما يسهم في تثبيته ودوامه، فالكتابة ثقافة مرئية مرتبطة أساسا بالمكان، مقيّدة بالأوراق، ولا يمكن في أي حال من الأحوال اتهام الشفاهية بافتقارها إلى ما يضمن يقاءها واستمرارها، فهي تتميّز باستراتجية تضمن استمرارية المعرفة حيث تضعها "في سياق الصّراع بابقائها في عالم الحياة الإنسانية" [[2]](#footnote-2) على عكس الثقافة الكتابية التي تعتمد في ذلك على عملية التدوين وحصر المعرفة بين دفف الكتب.

إذا كان الأدب المكتوب يحفظ بالتدوين، فالذّاكرة دورها الفعّال في حفظ الأدب الشفهيّ وترويجه، إذ تلجأ المجتمعات الشفاهية إلة صياغة آدابها ومعارفها بطريقة تسهّل عمليّة التذكر مستغلة في ذلك أساليب وتقنيات عديدة كالتكرار والسجع والطباق والمقابلة، كما تتميّز النصوص الشفاهية بالايقاع الذي يعمل على تحفيز الذاكرة لتسهيل عملية الاستذكار، فالذاكرة الشفاهية تبحث في فكرها عن قوالب جاهزة تحاول وضعها من أجل تسهيل عملية التذكّرـ

يرى الباحث محمد مبارك أنّ " الشفوية لا تعني نفي الكتابة ضرورة أو هي نقيضها الحتمي، فقد يكتب النّص الشعري كتابة ويدوّن تدوينا ثم لا يخرج عن اطار الشفوية"[[3]](#footnote-3) لهذا لا يمكن اعتبار كل نص مكتوب ضمن الكتابي بمجرد انّه على ورق.

يختلف النّص الأدبي المكتوب عن النّص الأدبي الشفاهي من خلال الموقف الأيصالي لدى كلّ منهما، والذي يمكن تمثيله كالآتي:

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
| **الموقف الايصالي** | **مرسل** | **رسالة** | **مرسل إليه** |
| الخطاب الشفاهي قائم على السماع | ملقي النّص سواء كان صاحب النّص أم لا | النّص مسموع يحتل مساحة زمانية | جمهور حاضر |
| الخطاب الكتابي قائم على القراءة | الكاتب | النّص مكتوب ويحتل مساحة مكانية | مجهول غائب |

فالخطاب الشفاهي قائم على السماع، تحكمه علاقة متيمة بين المؤدي والمتلقي (الجمهور)، يكتسب جماليته من التفاعل الحاصل بين طرفي الالخطاب، امّا الخطاب الكتابي فمستقل عن السياق الأدائي الحي.

1. **التعبير وكفاءة الكتابة:**

يعد التعبير بنوعيه – شفاهي، كتابي- وسيلة لتحقيق أهداف تواصلية بالدرجة الأولى، وهو مهارة مكتسبة (كفاءة) بالممارسة والكد "فالمهارات بأنواعها تُكتسب بعد الممارسة والتحصيل، لأنّه لا مهارة دون عمل أو أداء، سواء أكان هذا الأداء نظريًّا كالقراءة أم عمليًّا كالتدريب، والمهارة اللّغويّة تدخل ضمن هذه المهارات المختلفة، وترتبط بها وجوبًا المهارة العقليّة، لأنّ المهارات اللّغويّة بأنواعها تتطلّب استخدام العقل، فإذا قلنا أنّ اللّغة عمليّة إرسال واستقبال، فإنّ الإرسال يتضمّن الكلام أو الكتابة وكلاهما يحتاج إلى تفكير فيما يقال وفيما يراد كتابته، كذلك الاستقبال الذي يتكون من الاستماع والرؤية والقراءة، وكلٌّ منها يتدخّل العقل في ترتيب مكوّناتها، لذا يجب ألاّ نفرِّق مطلقًا بين المهارة العقليّة والمهارة اللّغويّة لأنّه من التعبير عن مكنونات العقل باللّغة"**[[4]](#footnote-4)**.فالتعبير إذا ممارسة تهدف إلى اكتساب اللّغة.

عندما نقول أنّ التعبير الكتابي كفاءة فذلك يعني أننا بحاجة إلى مجموعة من المعارف والمفاهيم للتمكن الكتابة، والشيء الذي يصنع الفارق بين كاتب وآخر هي كل هذه المكتسبات القبلية وكذا درجة الممارسة (الدربة) على التعبير، فكلّما درّب وعوّد نفسه على التعبير الكتابي أصبح كاتبا متمرسا، والملاحظ انّ هناك علاقة وطيدة بين الكفاءة والتعلّم فكلّما كان الشخص عالما بعلوم البلاغة والنحو والصرف كلّما استطاع أن يكتب بطريقة متقنة، وكلما ابحر في العلوم الأخرى امتلك ذخيرة تخولّه من خوض غمار التخييل فيصبح بذلك كاتبا مقتدرا.

**الأهداف المنتظرة من المحاضرة**: في نهاية المحاضرة من المفروض أن يتمكن الطالب من استعاب النقاط التالية:

* التفريق بين الكتابة والمشافهة.
* معرفة أهمية الكتابة باعتبارها كفاءة.
* العلاقة بين الكفاءة والتعلّم .
* كيفية تحقيق كفاءة التعبير الكتابي.

1. - ولتر ج اونج، الشفاهية والكتابية، تر: حسن البنا عز الدين، عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1994، ص 55. [↑](#footnote-ref-1)
2. - ولتر ج اونج، الشفاهية والكتابية، ص 107. [↑](#footnote-ref-2)
3. - محمد مبارك استقبال النّص عند العرب، ط1، دار الفارس، بيروت، 1999، ص 113. [↑](#footnote-ref-3)
4. زكريا إسماعيل، طرق تدريس اللّغة العربيّة، دار المعرفة الجامعيّة، القاهِرة، 2005، ص.89. [↑](#footnote-ref-4)